

اللسانية طرحا أصوليًا ، فكأنما ذلك من طبيعة شغلهم وإن كان في مثل هذا الظنّ حظ وافر من المسارعة ، ولكن القضية أشدّ وقعا وأحكم فعلا حينما تتواتر إلى حدّ الاطراد : تجدها في مقدمات أصول الفقه وعلم الكلام ، وكتب التفسير ، أما عن مداخل الفلاسفة وأهل المنطق فحدث ولا استغراب ، وسيصنع الطابع التوليدي الذي أشرنا إليه آنفا صنعه فتتحول المقدمات إلى خواتم ، ويأتي ابن خلدون بالصورة المتكاملة للتنظير اللسانيّ على صعيد الفلسفة الأولى . كما يقول الشيخ الرئيس .

كذا تتقرر لناظرنا هذه الظاهرة العجيبة التي تحوي من الأبعاد المعرفيّة ما يتحدى الفكر المعاصر ، والتي تجيء بمادّة فكرية ولود كثيرا ما تعجز اللسانيات في أحدث تياراتها عن استيعاب مقولاتها الكلية، ولهذا السبب، وأسباب أخرى لم نأت عليها ، بدا لنا أن استقراء البعد اللسانيّ يمثل «ثابتة» في الفكر العربيّ، بل هو أمّ الثوابت، ولن يغفل ابن خلدون، على ما بدا لنا ، عن هذه الحقيقة التي تمثل النموذج الأوفى للسمة الاختبارية وقد لا يخفى اليوم عن أحد أنّ الذي يحدد قوام الحداثة في حقل العلوم الانسانية الرّاهنة إنما هو موقعها من اللسانيات ، ذلك أنّ علم اللسان قد أصبح مركز استقطاب تحتكم إليه مختلف المعارف الإنسانية سواء في مناهج بحثها أو في تقدير حصيلتها العلميّة . وقد كان له على صعيد فلسفة المناهج فضل إرساء جملة من المبادئ أهمّها اثنان : مبدأ تمازج المعارف بغية إدراك نواميس الظواهر المتّصلة بالانسان ، ومبدأ استفراق الشّمول المعرفي ممّا جذر الرؤية الأصوليّة .